(شواهد كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى دراسة منهجية)

م.م. إقبال عبد الصاحب
كلية التربية / جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف الخلق واله اجمعين ..

المقدمة

كتاب ((شرح قطر الندى وبل الصدى)) من الكتب البارزة التي الفها ابن هشام الانصاري , فهو كتاب مقدم لقراء النحو العربي عموماً , ولدارسي كتب ابن هشام خصوصاً , لما يحويه من تنوع في عرض موضوعاته التي تشمل موضوعات اللغة في اكثرها, واكثر مايجذب الدارس لكتب ابن هشام صفتها بالشمولية من النواحي جميعها سواء أ كانت المادة المعروضةام ترتيبها ترتيباً منطقياً ام من حيث ما تحتويه من الشواهد ووفرتها على ما سيتضح .

- أما سبب اختياري للموضوع فهو اسلوب ابن هشام نفسه من شموله لكثير من مفاصل اللغة العربية في نحوها , وتركيبها , والفاظها .
- وقد قسمت البحث على (مادة الكتاب) , ومن ثم (الشواهد), وتنوعها .
- أما اعتمادي على المصادر وطريقة إفادتي منها فهو ما يخدم الشواهد وما ورد عند ابن هشام من إحالات لتلك الشواهد على ما سيرد في البحث .
- وقد قسمت البحث على فقرتين : (المادة المعروضة في الكتاب) , و(الشواهد المتنوعة).
- أما الصعوبات التي واجهتني فهي كثرة شروح الكتاب والتفصيل في تلك الشروح .
- ومما أحب التنويه إليه استعمال البحث لفظة (شرح) مرة , و(شروح) أخرى , فلفظة (شرح) يريد بها الكتاب كله : (شرح قطر الندى وبل الصدى) , أما (شروح)فكان المراد منها , توضيح كل فقرة عبَر عنها ابن هشام بـ(المقدمة), فكان كل توضيح لفقرة أو مقدمة سماها ابن هشام بـ(شرح)

هذا مع ضيق الوقت , وتنوع الكتاب الذي أجبرني على عدم الوصول إلى نهاية البحث في وقت اقصر ....

والله اسأل السداد في القول والعمل , ومجانبة الزلل , وان انتفع به اولاً , وأُجزل العطاءَ لكل من يصوب خطأً فيه أو يسدي إلي نصيحة , إنه سميع مجيب .

الباحثة

أولاً: عرض المادة وتناولها في الكتاب

كان الكتاب جامعاً لكثير من موضوعات النحو , مشتملاً عليها في معظمها , اذ درسها في مجملها , فدرس اجزاء الجملة مفصلا فيها مبتدئاً حديثهُ عن الكلمة[1] بطبيعة ما يتطلبه النحو العربي , وما تنقسم إليه من اسم وفعل وحرف[2] ,ثم آنصرف الى بيان كل جزء منها واقسامه[3], ولم يزل ابن هشام يتناول موضوعاته حتى درس خصيصة للاسم والفعل على السَّوَاء , وهي خصيصة الاعراب[4] وبيَّن انواعه[5] , فبدأ بإعراب الاسم وعلامته في شتى الحالات[6] , وكذا فعل بالنسبه للفعل[7] , فعرض لاعراب الفعل المضارع [8] , ملماً من خلال ذلك كل ما يحتاج إليه الموضوع من إيضاحات وبيانات كان من شأنها وضع الدراسة موضعها , بعدها أورد خصيصة اسم دون غيره هي , التنكير والتعريف [9] متناولاً أقسام المعرفة مفصلاً فيها القول[10], بعد تعريف يسير للنكره[11] .

غيرَ أنّ ابن هشام لم ينسَ الإعراب الذي درسه قبل هذا الموضع من الكتاب , فبدأ بعرض مرفوعات الأسماء بحسب ترتيب مواضع الإعراب , من مبتدأ وخبر[12] ونواسخهما[13] , وغير ذلك من الأسماء التي تقع مرفوعة [14] ثم خص الفعل بالحديث من باب الاشتغال[15], والتنازع[16] , وهما من الخصائص للفعل , دون غيره , وهو بذلك يخرج عن منهجه قليلاً بعد أن نعرف أنه تناول المنصوبات من الأسماء على اختلافها[17] بعد ذلك شرع الى دراسة مجرورات الأسماء [18] على اختلاف أنواعها , سواءٌ أكانت مسبوقة بحرف جر [19] أم كانت بالإضافة [20], وكان كعادته يشمل الموضوع بالبحث من جوانبه كافة, ثم عمد الى دراسة المشتقات جميعاً وتناول اشتقاقها , وشروط عملها[21]ودرس موضوع التوابع[22] التي تكون مرة بصيغة الاسم , واخرى بصيغة الفعل , فلم يبتعد عن منهجه الذي بدأ به من أول الكتاب . ثم واصل دراسته لموضوعات أخرى من النحو , فتناول العدد[23] ليكون هذا الموضوع خاصاً بالاسم دون غيره , وذكره مجملاً , إذ لم يفصل فيه القول .

في هذا كله لم يخل الكتاب من موضوعات الصرف , فدرس مواضع الصرف للأسماء [24] , ثم عاد ليدرس موضوعاً آخر هو التعجب وصيغتاه [25].

بعدها عاد ليأخذ من موضوعات الصرف ما كانت ضرورية ليختم بها كتابهُ كالوقف[26] , وكتابة الألف بعد واو الجماعة[27] وغيرها[28] وعلى ذلك يكون كتاب (شرح قطر الندى وبل الصدى) قد سار على دراسة الاسم والفعل وإعراب كل منهما, فنظم كتابه على إعرابهما , إذ درس المرفوع من الأسماء والمنصوب والمجرور بحسب تسلسلها , وإن كان هناك خروج في بعض موارده .

وفي ذلك أيضاً يكون منهج الكتاب منظماً مرتباً فهو درس الحرف بعد الاسم والفعل كما مر ذكره متسلسلاً فيه , وانْ كانت دراسته له موزعة على كثير من مواضع الكتاب بحسب ما تتبعُه له موضوعاته , من نواصب المضارع[29], وجوازمه[30], وغير ذلك من الحروف[31], وعلى ذلك يكون كتاب ابن هشام حاله حال كتب المتأخرين[32] ,وحال كتبه الأخرى[33].

ثانياً: شواهده

وردت لديه الشواهد بوفره – كعادته – فالتزم بهذه الوفرة على إيراد شواهد القرآن الكريم – على وجه العموم – اذ كان القران الكريم مورده الاول , فاستشهد بما يزيد على اربعمئة آيةٍ كريمةٍ , وهو عدد كبير موازنة مع ما يرد في شرح الكتاب من الشواهد الأخرى فتراه

عند تناوله الموضع المراد الاستشهاد له يورد أكثر من آية كريمة في الموضع نفسه , بحيث اتخذ من النص القرآني مادة للدراسة في كتابه , واعتمد على آيات الكتاب الحكيم في شواهده على مختلف المسائل اللغوية التي درسها , إذ تفوقت الشواهد القرآنية على غيرها من الشواهد من شعر ونثر , من ذلك مثلاً ما جاء في بحثه (مواضع كسر إن), [34] فقال : (تكسر إنّ في مواضع : احدها : ان تقع في ابتداء الجملة ,كقوله تعالى (إنا أنزلناه) [35] (إنا أعطيناك الكوثر) [36] (ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [37] الثاني : بعد القسم , كقوله تعالى (حمَ والكتاب المبين , إنا أنزلناه) [38] (يس والقران الحكيم , انك لمن المرسلين) [39]
الثالث : أن تقع محكية بالقول , كقوله تعالى (قال إني عبد الله) [40].
الرابع : أنْ تقع اللام بعدها, كقوله تعالى (والله يعلم إنك لرسوله , والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون) [41] فكسرت بعد ((يعلم)) , ((ويشهد)) , وان كانت قد فتحت بعد عِلمَ وشَهِد , في قوله تعالى : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم)[42](شهدالله أنه لاإله الاهو)[43], وذلك لوجود اللام في الأولَين دون الآخَرِين) [44].
- على الرغم من ذلك فهذا لا يمنع أن يكون فيه الاستشهاد بآية واحدة في بعض الموارد لديه , من ذلك مثلاً ما جاء في بحثه (صاحب الحال) [45], فقال (شرط صاحب الحال واحد من أمور أربعة : الأول التعريف كقوله تعالى (خشعاً أبصارهم يخرجون))[46] فخشعاً : حال من الضمير في قوله تعالى :(يخرجون) والضمير اعرف المعارف . والثاني : التخصيص , كقوله تعالى ((في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين)) [47]فسواء : حال في أربعة , وهي وإن كانت نكرةً , ولكنها مخصصه بالإضافة إلى أيام . والثالث : التعميم , كقوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) [48] فجملة (لها منذرون) حال من قرية , وهي نكرة عامة , لوقوعها في سياق النفي .....) [49].
- وقد وردت آيات كثيرة مكررة بين شروح الكتاب , منها ما ورد في موضع (جواز توسط الخبر بين الاسم والفعل)[50], فقال :(يجوز في هذا الباب أنْ يتوسط الخبر بين الاسم والفعل , كما يجوز في باب الفاعل أنْ يتقدم المفعول على الفاعل , قال الله تعالى:(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) [51]....) [52] .
وعاد فكرر في موضع آخر , وان كان للغرض نفسه , فقال في شرح من شروح الكتاب في (أحوال الخبر) [53] , فقال : (للخبر ثلاثة أحوال ... الثاني : التوسط بين الفعل واسمه , كقوله تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) , وقد تقدم شرح ذلك ....) [54] .
- وكذا أورد آيات أخرى,كان لغرض مغاير,فالموضع الأول في بحثه :(علامة المضارع) [55] فقال : (فذكرت أنّ علامته أن يصلح دخول ((لم)) عليه , نحو (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد) [56], فذكرت انّهُ لابد أنْ يكون في اوله حرف من حروف (نأيتُ) –وهي النون – والألف – والياء – والتاء – نحو : ((نقوم –وأقومُ – ويقومُ – وتَقومُ)) وتسمى هذه الأربعة(أحرف المضارعة)...))[57] .
- أما الموضع الآخر فما جاء في بحثه (الجازم) [58], فقال : (الجازم ضربان : جازم لفعل واحد .... مما يجزم فعلاً واحداً :(لم) وهو حرف ينفي المضارع ويقلبه ماضياً , كقولك لم يقم , ولم يقعد) وكقوله تعالى (لم يلد ولم يولد) [59]...) [60] .

أما ما يخص الشواهد الأخرى , فقد استعان بالقراءات القرآنية , إلا أن مساحته للقراءات ليست كبيرة , وعددها ليس بالكثير , إذ ورد لديه ما يقرب من خمسين قراءة قرآنية , من ذلك ما جاء في بحثه(شرط الحال))[61], فقال : (شرط الحال / أنْ تكون نكره , فان جاءت بلفظ المعرفة وجب تأويلها بنكرة , وذلك كقولهم (آدخلوا الأولَ فالأولَ) .... وقراءة بعضهم (لَيَخْرجَنَّ الأعزُّ مِنها الأذلَّ) [62]بفتح الياء وضم الراء , وهذه المواضع ونحوها مخرجة على زيادة الألف واللام...)) [63].

- وهذا العدد إذا جعلناه في كفة الميزان مع استشهاده بالآيات الكريمة تكون نسبة القراءات قليلة جداً.

- وكان قد اورد في كتابه في أكثر الأحوال القراء السبعة في مواضع متعددة , إذ بلغ عشر قراءات , منها الوارد في بحثه (بناء الاسم على الضم) [64] , فقال : (ذكرت المبني على الضم ومثلته بِقَبْلُ – وَبعْدُ وأشرت إلى إن لهما أربع حالات (ويقصد ب(لهما) قبل – وبعد) ...الحالة الرابعة : أنْ يحذف المضاف إليه , ويُنوى معناه دون لفظه , فيبنيان حينئذ على الضم , كقراءة السبعة (لله الأمرُ من قبلُ ومِنْ بعدُ) [65] .....) [66] .

أورد بعد ذلك قراءات مختلفة لقراء مختلفين في ثلاثة مواضع , منهم ابن عامر وحمزة , وابن كثير , فما آستشهد به لابن عامر ما جاء في بحثه (المستثنى في بعض أقسامه) [67] فقال :(والحاصل أنهُ إذا كان الاستثناء ب (إلا) , وكانت مسبوقة بكلام تام , موجب , وجب بمجموع هذه الشروط الثلاثة نصب المستثنى , سواء كان الاستثناء متصلاً ..... او منقطعاً ..... ومنه في احد القولين قوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) [68] . فلو كانت المسالة بحالها , ولكن الكلام السابق غير موجب فلا يخلو : إما أنْ يكون الاستثناء متصلا أو منقطعاً : فإن كان متصلاً جاز في المستثنى وجهان :. ونعني بغير الإيجاب النفي والنهي والاستفهام , مثال النفي قوله تعالى مافعلوه الا قليل منهم) [69] ... قرأ ابن عامر وحده بالنصب على الاستثناء.....)) [70].

أما قراءات (حمزة) [71] التي استشهد بها , فكان منها الوارد في بحثه (توسط الخبر بين الاسم والفعل) [72] , فقال: (يجوز في هذا الباب أن يتوسط الخبر بين الاسم والفعل, كما يجوز في باب الفاعل أن يتقدم المفعول على الفاعل ... وقرأ حمزة وحفص: (ليس البرَّ أنْ تولُّوْا وُجُوْهَكُمْ) [73] بنصب البِرّ ....)) [74].

- أما ما يخص قراءات ابن كثير , فجاءت في ثلاثة مواضع , منها الوارد في (باب الوقف على المنقوص) [75] , فقال : (اذا وقفت على المنقوص – وهو الاسم الذي آخره ياء مكسور ما قبلها – فإمّا أنْ يكون منوناً , أولا . فإنْ كان منوناً (الأفصح الوقف عليه رفعاً وجراً بالحذف ... وبذلك وقف ابن كثير على (هاد) و (وال) و (واق) من قوله تعالى (لكل قوم هادي) [76] ,(ومالهم من دونه من والي)[77](وما لهم من الله من واقي)[78].....)) [79].
- وأورد بعد ذلك قراء ما كان اقل من ثلاثة مواضع , أورد منهم قراء في موضعين مثلاً ما ورد لـ(حفص) , الوارد عند ابن هشام في شرحه المسائل التي يجب فيها إضمار (أنْ)) [80] , فقال: (هي أربع .... المسألة الرابعة : بعد واو المعية , إذا كانت مسبوقة بما قدمنا ذكره , مثال ذلك قوله تعالى :(ولّما يعلم الله الذين جاهَدُوا مِنْكُمْ ويَعْلَمَ الصّابِرِيْنَ) [81] ((يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكَذبَ بآياتِ رَّبنا ونكونَ مِنَ المؤمِنينَ)) [82] في قراءة حمزة وابن عامر وحفص ....) [83].
- أورد اتفاق القراء مرتين في شروحه المختلفة , منهما الوارد في (الوقف) [84] , فقال : ((يجب في الوقف قلب النون الساكنة ألفا في ثلاث مسائل : إحداها : (إذا) هذا هو الصحيح,

وجزم ابن عصفور في شرح الجمل بانه يوقف عليها بالنون , وبنى على ذلك انها تكتب بالنون, , وليس كما ذكر , ولا تختلف القراء في الوقف على نحو(ولن تفلحوا إذا أبدا) [85] انه بالالف ...) [86].

- وأثناء ذلك كان يورد القراءات القرآنية لقراء عدة لمرة واحدة لا اكثر , وتلك سمة واضحة في القراءات عنده في شرح الكتاب , منها مثلاً قراءة لعاصم [87] , وقراءة لابن مسعود[88] , وقراءة لأبي عمرو [89] ,وقراءة الحسن البصري [90], وأخرى للكسائي وشعبة [91], وقراءة للحرميين وأبي بكر[92] , وغيرهم من القراء[93] , وذلك في موضع من المواضع في شرح من الشروح.

- أورد عبارات تخص القراءات من دون تخصيصه أصحابها , فجاء مثلاً عنده (في قراءة من خفف) [94] او قوله(قراءة بعضهم) , إذ وردت عنده هذه العبارة خمس مرات, منهاً ما جاءت في بحثه(الاسم المبني على الضم)[95]، فقال :(ومثلته بقبلُ , وبعدُ , وأشرتُ إلى أنّ لهما أربع حالات .... الحالة الثانية : ان يحذف المضاف إليه, وينوي ثبوت لفظه , فيعربان الإعراب المذكور , ولا ينّونانِ لنية الإضافة ... الحالة الثالثة : أن يقطعا عن الإضافة لفظاً , ولا ينوى المضاف إليه , فيعربان أيضا الإعراب المذكور , ولكنهما ينونان , لأنهما حينئذ اسمان توأمان , كسائر الأسماء النكرات .... وقرا بعضهم [96] (للهِ الأمرُ مِنْ قبلٍ ومِنْ بَعْدٍ) [97] بالحفض والتنوين ...)) [98].

- وردت لديه عبارة (بعض السبعة) في موضع واحد [99] ويريد القراء السبعة .

- قيّمَ بضع قراءات شاذة, ووصفها بذلك, وتلك قراءات ثلاثة في مواضع ثلاثة منها: , (الفصل المعقود لأحكام تابع المنادى) [100] فقال :(هذا الفصل معقود لأحكام تابع المنادى , والحاصل : إن المنادى إذا كان مبنياً , وكان تابعه نعتاً , أو تأكيدا , أو بياناً , أو نسقاً بالالف واللام – وكان مع ذلك مفرداً , أو مضافاً وفيه الألف واللام – جاز فيه الرفع على لفظ المنادى , والنصب على محله , وتقول في النعت :(يا زيدُ الظريفُ) بالرفع ,و(الظريفَ) بالنصب , وفي التأكيد :(يا تميم أجمعونَ) , و(أجمعينَ) , وفي البيان (يا سَعِيدُ كُرْزٌ) , (وكُرْزاً) , وفي النسق (يا زيدُ والضّحّاكُ)(والضّحّاكَ) ... وقال تعالى :(يا جبال أَوّبِي مَعهُ والطيرَ) [101] وقري شاذاً[102] (والطيرُ)....) [103].

- وردت لديه عبارات توضح انقسام القراء ,وأشار إلى قراءة (الأكثر منهم) , أو (قراءة الباقين) من القراء , منها ما جاء في (الاستثناء بإلا)[104] , فقال :(فان كان متصلاً جاز في المستثنى وجهان : احدهما : يجعل تابعاً للمستثنى منه .. ونعني بغير الإيجاب النفي والنهي والاسفهام , مثال النفي قوله تعالى (ما فعلوه الا قليل منهم) [105]... ومثال النهي قوله تعالى .(ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك) [106] قرا ابو عمرو وابن كثير بالرفع على الابدال من(أحد), وقرأ الباقون بالنصب على الاستثناء[107] وفيه وجهان : احدهما :أن يكون مستثنى من ((احد)) وجاءت قراءة الاكثر على الوجه المرجوح لان مرجع القراءة الرواية لا الرأي ....) [108].

- واخر ما يخص القراءات القرانية انها تمثل موارد آبن هشام مقارنة بعدد الايات الكريمة .

- اما الشواهد الاخرى فكانت الاحاديث النبوية الشريفة في مقدمتها, اذ بلغ عددها في كتابه عشرين حديثاً , وهذا طبقاً لكون (الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم افصح العرب , وكلامه افصح الكلام بعد القران , ولكن النحاة وقفوا مختلفين من الاستشهاد بالحديث , فقد منعه اغلب النحاة بحجة جواز رواية الحديث بالمعنى , وأجاز بعضهم الاستشهاد (بالحديث) [109] ونظراً لذلك كان ابن هشام من الذين يستشهدون بالحديث وفي جميع كتبه[110].

- كان دأبه في شروح الكتاب لا يكرر الاحاديث النبوية , وذلك في مواضع مختلفة فيه , منها مثلاً ما ورد في حديثه عن (لام ال) [111] فقال:(لغة حمير ابدال لام ال ميماً , وقد تكلم النبي (ص) بلغتهم : اذ قال ((ليس من امبر أ مصيام في امسفر)) [112]...) [113].
- اما الشروح فكان ينسب الحديث فيها الى النبي محمد (ص) كل في موضعه .
- وكان استعماله للحديث الشريف اما لبيان لغة من لغات العرب كما مر , اولبيان الشاذ[114] منها , او بيان قاعدة نحوية [115] , وكان هذا اكثر الاغراض استعمالاً .
- اما بالنسبة للشواهد الاخرى التي أخذ منها ابن هشام , ليقوي بها أدلته فهي اقوال العرب وأمثالها، اذ بلغ عددها ما يقرب من أربعين قولاً ومثلاً ,ومن تلك الاقوال مثلاً الوارد في بحثه (الظرف وانقسامه اذا وقع خبراً) [116] اذ قال : ((ينقسم الظرف الى زماني ومكاني , والمبتدأ إلى جوهر , كَزَيْد وعَمْرٍو , وعَرَضٍ كالقيام والقعود , فإن كان الظرف مكانياً صَحّ الإخبار به عن الجوهر والعرض, تقول :(زيدُ أمامَكَ , الخيرُ أمامَكَ), وإن كان زمانياً صحّ الإخبار به عن العرض دون الجوهر , تقول (الصومُ اليومَ) ولا يجوز (زيدُ اليومَ),: فإنْ وجِدَ في كلامهم ما ظاهرهُ ذلك وجب تأويله كقولهم :(اللّيْلَةَ الهلالُ) [117]فهذا على حذف مضاف , والتقدير : الليلةَ طلوعُ الهلالِ) [118].
- كان عادته في كتابه ألا يكررَ بينَ الأقوال والأمثال عدا ما حصل عنده في قول واحد , فذكره مّرتين ,المرة الأولى في بحثه (وجوب حذف الخبر) [119] , فقال : ((يجب حذف الخبر في أربع مسائل ... الرابعة ... بعد واو المصاحبة الصريحة كقولهم :(كلُّ رجلٍ وَضَيْعَتُهُ) أيّ كلُ رجلٍ مع ضيعته مقرونان : والذي دلّ على الاقتران ما في الواو من مَعنى المعّية)) [120]
- أما الموضع الآخر فقد ورد في شرح لاحق لغرض آخر هو في بحثه(المفعول معه) [121], فقال في شرطه (وقولي - مسبوقة بفعل أو ما في حروفه ومعناه ,كـ(سِرْتُ والنِّيلَ) و(أنَا سائِرٌ والنّيلَ)- بيان لشرط المفعول معه , وهو أنّه لابدّ أن يكونَ مسبوقاً بفعل أو بما فيه معنى الفعل وحروفه فالأول كقولك(سِرْتُ والنِّيْلَ), وقوله تعالى (فأجْمِعُوا أمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ) [122] والثاني كقولك : (أنا سائرٌ والنّيلَ) ولايجوز النصب في نحو قولهم (كلُّ رجلٍ وَضيعَتُهُ ... لأنك لم تذكر فعلاً ولا ما فيه معنى الفعل , وكذلك لايجوز (هذا لَكَ وأباكَ) بالنصب لإنّ إسم الإشارة وإن كان فيه معنى الفعل وهو (أشير) لكنه ليس فيه حروفه) [123] .
- وجرت عادته في شرح الكتاب أنْ يورد عبارة (قول العرب) [124] , أوْ (كلام بعضهم) [125] , أو (سمع بعضهم) [126],أو (وسمع من كلامهم) [127] , أوغيرها من العبارات التي تشير إلى تحديد العبارة على إنها من أقوال العرب[128]. وكان شانه من خلال ذلك توضيح قواعد لغوية أرادها[129].

- اما الشواهد الشعرية فقد كان لها مساحه اوسع من الشواهد الاخرى بعد الشواهد القرانية التي لاتنفك ان ترافق بحثه الموضوعات المختلفة , فالشواهد الشعرية استشهد بها بما يفوق خمسين ومئة بيت شعري , وهذا هو الوارد في شرح الكتاب .

- اما ما يخص كيفية استشهاده , فكان يوردها كاملة صدرها وعجزها , وهذا دأبه في جميع الحالات , الا ما ندر فكان يورد صدر البيت او عجزه , لكن عدد تلك الابيات لا يتجاوز العشرين , منها الاتي في بحثه (النواسخ) [130], فقال (ما ينصب المبتدأ والخبر معاً , وهو افعال القلوب , وهو ظن ... رأى ... وحسب ... ودرى ... وخال , كقوله[131]: يخال به راعي الحمولة طائراً...)) [132].

- وتجده في حالات نادرة يورد البيت الشعري في شرح من مواضع الكتاب ثم يورده في شرح اخر في موضع اخر , ويكون التكرار للغرض نفسه , وهذا اكثر احوال التكرار بين شروح الكتاب , منها الوارد في بحثه (المبتدأ اذا كان وصفاً)[133] , فقال : (اذا كان المبتدا وصفاً معتمداً على نفي او استفهام , استغنى بمرفوعه عن الخبر , تقول : أقائم الزيدان) و (ما قائم الزيدان), فالزيدان : فاعل بالوصف , والكلام مستغن عن الخبر , لان الوصف هنا في تأويل الفعل , الا ترى ان المعنى : أ يقوم الزيدان , وما يقوم الزيدان ؟ والفعل لايصح الاخبار عنه ,فكذلك ما كان في موضعه ...ومن شواهد الاستفهام قوله[134] :

أُقاطنُ قوم سلمى ام نووا ظعناً إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا.)[135].

اما الموضع الاخر فهو في شرح لاحق فقال في معرض حديثه عن (اسم الفاعل) [136]:((وهو : ((الوصف ,الدال على الفاعل , الجاري على حركات المضارع وسكناته)) كضارب , ومكرم , ولا يخلو : اما ان يكون بال , او مجردا منها ...وان كان مجردامنها فانما يعمل بشرطين ... الشرط الثاني : ان يعتمد على نفي , او استفهام , او مخبر عنه, او موصوف ... ومثال الاستفهام قوله:

اقاطن قوم سلمى ام نووا ظعنا...) [137].

- وفي حالات اقل ندرة وردت فيها ابيات تكررت بين شرحين مختلفين في موضعين مختلفين من مواضع الكتاب , وكان لغرضين مختلفين , من ذلك ماجاء في بحثه ((باب التنازع)) [138] ،فقال : ((... وليس من التنازع قول امرئ القيس :

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة

كفاني – ولم اطلب - قليل من المال[139]

وذلك لان شرط هذا الباب ان يكون العاملان موجهين الى شئ واحد كما قدمنا ولو وجه هنا((كفاني))و((أطلب))الى(قليل)فسدالمعنى ،لان (لو)تدل على امتناع الشى لامتناع غيره ، فاذا كان مابعدها مثبتا كان منفيا،نحو ((لو جاءني اكرمته)) واذا كان منفيا كان مثبتا ...) [140] .

- اما الموضع الاخر فما جاء في : المفعول له , ويسمى المفعول لاجله , ومن اجله) [141]فقال : ((وهو : ((كل مصدر معلل لحدث مشارك له في الزمان والفاعل)) ... فلو فقد المعلل شرطا من هذه الشروط وجب جره بلام التعليل . فمثال ما فقد المصدرية ... قول امرئ القيس:

ولو ان ما اسعى لأدنى معيشة

كفاني _ ولم اطلب _ قليل من المال

فادنى : افعل تفضيل , وليس بمصدر , فلهذا جاء محفوضاً باللام ...) [142].

- اما الحالات الاكثر شيوعاً فهي ورود الابيات الشعرية في شرح الكتاب بصدر وعجز ومن دون تكرار الا ما قد سبق ذكره [143].

وكان من عادته الايسمي الشاعر الذي يتمثل بالبيت منه , او اكثر , وذلك واضح عنده الا في بعض المواضع التي لاتشكل نسبة تذكر قياسا مع الابيات الواردة عنده , فمن الابيات المنسوبة الى قائليها خمسة عشر بيتا , منها الابيات السابقة الذكر مثلا ,أو غيرها[144] .

هذا فضلا عن الابيات اي تعطي قواعد نحوية اذ استقى منها ابن هشام , أو قوى بها قواعده , فسمى ابن هشام اصحابها , وكان عددها قليلا لايذكر مع الابيات غير المسمى اصحابها[145] .

- اما الشواهد الاخرى التي استقى ابن هشام منها لإيراد الموضوعات النحوية اللغات عن العرب التي تنوعت في شرح الكتاب , وكان اكثر ماجاء منها لغة تميم في مواطن مختلفة اذ كانت حاجته الى الاستشهاد اكثر بطبيعة الحال في شرح الكتاب , ليبين , مايريد بيانه من موضوعات على اختلافها فكانت لغة تميم قد وردت لديه احدى عشرة مرة , منها مثلا الوارد في بحثه (هلم[146]) , فقال : ((فاما (هلُمّ) فاختلف فيها العرب على لغتين ... الثانية : ان تلحقها الضمائر البارزة , بحسب من هي مسندة اليه فتقول : هلم , وهلما , وهلموا , وهلممن بالفك وسكون اللام وهلمي ,(وهي لغة بين تميم), وهي عند هؤلاء فعل امر , لدلالتها على الطلب وقبولها ياء المخاطبة ...) [147].
- اما اللغة الثانية من حيث الوفرة فهي (لغة الحجاز) فكان يتحدث عنها بتفصيل شروطها في اعمال (ما النافية) [148] , فقال : ((والكلام الان في (ما) واعمالها عمل ليس , وهي لغة الحجازيين , وهي اللغة القويمة , وبها جاء التنزيل , قال الله تعالى : ماهذا بشرا) [149]... ولاعمالها عندهم ثلاثة شروط : ان يتقدم اسمها على خبرها , وان لايقترن (بان) الزائدة , ولاخبرها بالا, فلهذا اهملت ..... في قول الشاعر) [150]:
بني غدانة ماان انتم ذهب ولاصريف,ولكن انتم الخزف
لوجود ((ان)) المذكورة , وفي قوله تعالى : ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل)) [151] .... لاقتران خبرها بالا ....) [152].
- وكان هذا دابه في ايراد لغة اهل الحجاز , اذ جاءت عنده تسع مرات .
- وقد اتبع في شروحه المختلفة ايراد لغات لم يسم اصحابها , او قبائلها , بل يعطي صفة لها منها تسمية اللغات الواردة لديه ب(لغة من مده) [153], او (لغة من ينتظر ولغة من لاينتظر) [154] , وغير ذلك من اللغات التي لم يذكر اسماء اصحابها[155] , وكانت تلك اللغات عددها احدى عشرة لغة واردة عنده في شرح الكتاب منها مثلا ما جاء في بحثه (والفعل الماضي اذا كان ثلاثياً) [156], فقال :(واذا كان الفعل الماضي ثلاثياً معتل الوسط _ نحو قال وباع _ جاز لك فيه ثلاث لغات : احداها - وهي الفصحى – كسر ما قبل الالف : فتقلب الالف ياءً , الثانية :إشمام الكسر شيئاً من الضم , تنبيهاً على الاصل , وهي لغة فصيحة , أيضا الثالثة : اخلاص ضم اوله , فيجب قلب الالف واواً : فنقول : قول : و بوع , وهي قليلة[157].
- وردت لغات اخرى في الشرح هي من اللغات المسماة , مثل لغة هوازن[158]والنخع[159] , ولغة بعض طيّئ[160] , وهذيل[161] , وعقيل[162], وربيعه[163] , او التي ارجعها الى اصحابها وقبائلها , من ذلك ما جاء في بحثه :(اسم الاشارة) [164] , فقال :(... وللمفردة المؤنثة عشرة الفاظ : خمسة مبدوءة بالذال وهي ذي , و ذهي , بالاشباع – وذه – بالكسر , وذه – بالاسكان , وذات ,وهي اغربها , وانما المشهور استعمال ذات بمعنى صاحبة , كقولك (ذات جمال) او بمعنى التي , في لغة بعض طيّئ , حكى الفراء (بالفضل ذو فضلكم الله به , والكرامة ذات اكرمكم الله بها): أي التي اكرمكم الله بها...) [165].
- هذا بالنسبة للغات المنسوبة الى اصحابها , اما ما يخص بعض اللغات التي جاءت عنده فقيمها بانها قليلة , منها في بحثه :(الهن) [166] : فقال : (اذا استعمل الهن غير مضاف كان بالاجماع منقوصاً , أي : محذوف اللام معرباً بالحركات كسائر اخواته ... وبعضهم يجريه مجرى اب واخ ,: فيعربه بالحروف الثلاثة , فيقول : (هذا هنوك) , و (رأيت هناك), (ومررت بهنيك) , وهي لغة قليله , ذكرها سيبويه ....) [167].
- ومن تلك اللغات ما وصفت بانها ضعيفة التي جاءت في بحثه (حركة همزة الوصل) [168] فقال:(اعلم ان منها : ما يحرك بالكسر في الاكثر , وبالضم في لغة ضعيفة , وهو (اسم) ...)[169].

- ومن هنا يتضح اسلوبه في شرح الكتاب في استعمال اللغات , وتتضح ايضاً جميع مصادره فضلاً عن اللغات المصادر السابقة الذكر , ليدلل على اثبات ارائه واراء النحويين , فجاء كتابه ثراً منوعاً بتلك الشواهد كما مر .

الخاتمة

من خلال مامر من عرض للمادة الواردة في الكتاب تبين انه من المصادر التي تعتمد على أيراد الموضوعات الشاملة العامة لنحو اللغة و صرفها ,واملائها في كثير من المواضع , وكان يشمل تلك الموضوعات بترتيب واضح ,إذ قسم الجملة ,ثم قسم الاسم الى معرب ومبني , وكذا فعل بالنسبة لـلأ فعال , ودروس الحروف ,فدرس الإعراب للاسم باختلاف أنواعه,وكذابالنسبة للفعل ، فالنكرة فالمعرفة ،من الأسماء ،ثم المرفوعات ،ثم المنصوبات ثم المجرورات على اختلاف أسباب الجر ،فتناول الاسماء التي تعمل عمل أفعالها بالتفصيل ،ثم درس التوابع بتفصيل لايقل عن سابقه في أي من المواضع السابقة ،ليشمل كتابه موضوعات املاء العربية ،فدرس فيها همزة الوصل والقطع ،ومواضع كل منها .
وبذلك فكتابه غني بالموضوعات الواردة في العربية –كعادة ابن هشام في كتبه الأخرى – فكتبه تحوي من المفردات مايغنيك عن مراجعة كثير من المصادر فكان ملتزما بنهج واحد , حيث يمكن قارئه من تميز المفردة التي يبغي دراستها .
-وان كان هناك خروج عن هذا النهج , لكنه قليل لايذكر .
-أما الشواهد التي جاءت في كتابه فهي متنوعة ثرة بين شواهد القرآن الكريم الذي يمثل القيمة في عدد الآيات عنده,بعدها من حيث الوفرةجاءالشعرالعربي ,فتمثل بالبيت الشعري كاملاً أو جزء منه بحسب الضرورة . بعده القراءات القرآنية التي استقى من معينهاوقرائها المختلفين ,بعدها الأقوال والأمثال التي تمثل فصاحة العرب ,وا خيراً استشهد بالأحاديث النبوية التي بينت انه من العلماء الذين يستشهدون به ويعدونه من مصادر اللغة الحية على العكس من العلماء الذين يستبعدون ذلك الاستعمال .

وبذلك يكون كتاب (شرح قطرا لندى وبل الصدى)من مصادر لغتنا الجميلة والذي يغني دراسة,ويمد هذه اللغة بمعين صاف.

Abstract

Through exhibiting the material mentioned in the book, it is clear that its is one of the sources that depend on mentioning general inclusive subjects of language grammar, morphology and spelling in many places. It deals with those subject systematically, it divided sentence, then nouns into declinable and indeclinable, and so were verbs and particles. It studied parsing of nouns and verbs whatever kinds they were, and talked about definite and indefinite nouns, nominatives, accusatives, and genitives whatever were reasons of genitive. It also dealt with the presents particle in detail, and no less was the study of appositives, so that his book could include the subjects the Arabic spelling could involves. Thus, this book is rich in subjects stated in Arabic-as always was bin hisham in his other books-his books contain vocabularies that suffice to review many other sources. He was adhering to one method that enables his reader to distinguish the word that must be studied.

Though there is some deviation from this method, yet it is little to mention. As for quotation mentioned in his book, they are varied. Some are from the holy quran which represents the top in the number of verses mentioned in his books, then came the Arabic poetry. Whole or part of the poetic verse was exemplified if necessary. After poetry came the quranic readings, then the proverbs and sayings which represent arab eloquence. Lastly, he quoted from the prophetic traditions which proved that he is one of the scholars who quote and consider them as one live source of language, on the contrary to those who set aside that usage.

Hence, book of (sharh al_nada wa bal al_sada) would be one source of our language. It suffices its studier and provides this language with fine wellhead.

فهرس المصادر والمراجع

1- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر، للدمياطي احمد بن عبد الغني، تصحيح علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان(نسخة مصورة عن طبعة عبد الحميد احمد حنفي بمصر 1359 هـ).
2- اعراب الشواهد القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة في كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الانصاري ، اعربها رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
3- اعراب القران، لابي جعفر النحاس، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، نشر وزارة الاوقاف العراقية.
4- التبصرة في القراءات لمكي بن ابي طالب القيسي، تحقيق:د.محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، الطبعة الاولى،1405هـ_1985م.
5- التبيان في اعراب القران، لابي البقاء العكبري، تحقيق: علي محمدالبجاوي، مطبعة البابي الحلبي وشركاه، مصر.
6- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، تحقيق:عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976م.
7- ديوان امرئ القيس، تحقيق:ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر 1958م.
8- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق:د.شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية.
9- شرح الاشموني، تأليف: ابي الحسن علي نور الدين بن محمد الاشموني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1358هـ - 1365هـ.
10- شرح قطر الندى وبل الصدى،تصنيف: ابي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد.
11- شرح شواهد كتاب سيبويه، تأليف يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري، مطبعة بولاق، القاهرة 1316هـ.
12- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، تأليف: ابي القاسم جار الله الزمخشري، مطبعة بولاق 1281هـ.
13- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن ابي طالب القيسي، تحقيق د.محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،1394هـ-1974م.
14- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، تأليف: د.مهدي المخزومي، الطبعة الثانية 1377هـ- 1958 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
15- مسند احمد محمد بن حنبل، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر بمصر 1366هـ-1947م.
16- المفصل في علم العربية،للزمخشري، مطبعة حجازي، القاهرة.
17- منهجا الاخفش والفراء في كتابيهما معاني القرآن دراسة موازنة،أ.د. عبد الكاظم الياسري، جامعة الكوفة-كلية الاداب، النجف الاشرف 1428هـ-2007م.
18- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

الهوامش

(1) ينظر/شرح قطر الندى:11.
(2) ينظر/شرحه:12.
(3) ينظر/شرحه:13-43.
(4) ينظر/ شرحه:44.
(5) ينظر/شرحه:44.
(6) ينظر/شرحه:44-53.
(7) ينظر/شرحه:53.
(8) ينظر/شرحه:53-91.
(9) ينظر/شرحه:91.
(10) ينظر/شرحه:91-113.
(11) ينظر/شرحه:91.
(12) ينظر/شرحه:113-123
(13) ينظر/شرحه123-175.
(14) ينظر/شرحه:176-187.
(15) ينظر/شرحه:188-192.
(16) ينظر/شرحه:193-195.
(17) ينظر/شرحه:195-243.
(18) ينظر/شرحه:244.
(19) ينظر/شرحه:244-248
(20) ينظر/شرحه:248-250
(21) ينظر/شرحه:251-278.
(22) ينظر/شرحه:278-303.
(23) ينظر/شرحه:304-305.
(24) ينظر/شرحه:305-313.
(25) ينظر/شرحه:313-317.
(26) ينظر/شرحه:318-322.
(27) ينظر/شرحه322-323.
(28) مثل همزةالوصل،ومواقعها،وهمزة القطع هذا يقع في 323-325.
(29) ينظر/ شرحه:56-77.
(30) ينظر/شرحه77-91.
(31) مثل حرف العطف 295-300.
(32) منها كتاب الفيه بن مالك.
(33) مثل كتاب(مغني اللبيب عن كتب الاعاريب).

(34) الشرح:159.
(35) سورةالقدر:اية 1.
(36) سورة الكوثر:اية1.
(37) سورة يونس:اية:62.
(38) سورة الدخان: الايات:3,2,1.
(39) سورة يس: الايات:3,2,1.
(40) سورة مريم:اية30.
(41) سورة المنافقين:اية 1.

(42) سورة البقرة:اية 186.
(43) سورة ال عمران:اية 18.
(44) شرح قطر الندى وبل الصدى:159.
(45) الشرح نفسه:231.
(46) سورة القمر:اية 7.
(47) سورة فصلت:اية 10.
(48) سورة الشعراء:اية 208.
(49) الشرح/231.
(50) الشرح/126.
(51) سورة الروم:اية 47.
(52) الشرح/126-127.
(53) الشرح/129.
(54) الشرح/129-130.
(55) الشرح/129-130.
(56) سورة الاخلاص: الايتان4,3.
(57) الشرح/33.
(58) الشرح/77.
(59) الشرح/77.
(60) الشرح/77-81.
(61) الشرح:230.
(62) سورة المنافقين:اية 8.
(63) الشرح:230.
(64) الشرح:19.
(65) سورة الروم:4.
(66) الشرح:19-22.
(67) الشرح:329.
(68) الحجر:الايتان:31,30.
(69) سورة النساء:اية66.
(70) الشرح:239-240.
(71) وهو حمزة بن حبيب الزيات، التميمي صليبة او ولاءً،(8-156هـ)،كان امام الناس في القراءة،وكان مقرئاً حافظاً للحديث،بصيراً بالفرائض/مدرسةالكوفةومنهجها في دراسة اللغة والنحو/22.
(72) الشرح:126.
(73) سورة البقرة:اية 177 ينظر السبعة لابن مجاهد 176.
(74) الشرح:126.
(75) الشرح:319.
(76) سورة الرعد:اية 7، النشر 137/2
(77) سورة الرعد:اية 11 ينظر الاتحاف/105.
(78) سورة الرعد:الاية34 ينظر الكشف لمكي 21/2.
(79)الشرح 319.

(80) الشرح:65.
(81) سورة ال عمران:اية 142.
(82) سورة الانعام:اية 27.
(83) الشرح:74.
(84) الشرح:318.
(85) سورة الكهف:اية20.
(86) الشرح:320.
(87) عاصم بن ابي النجود،من شيوخ الاقراء في الكوفة، انتهت اليد الرياسة في الاقراء بالكوفة وكان يجمع بين الفصاحة والاتقان والتجويد،توفي سنة127هـ، ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو:23.وردت قراءته في الشرح/283.

(88) ينظر/ الشرح:209.
(89) ينظر/ الشرح:240.
(90) ينظر/الشرح:80.
(91) ينظر/الشرح:105.
(92) ينظر/الشرح149.
(93) مثل قراءة ابي جعفر:185.
(94) ينظر/الشرح:150.
(95) ينظر/الشرح:19.
(96) قرأ ابو السمال والجحدري وعون العقيلي/ ينظر الشرح:239، للزمخشري 314/3.
(97) سورة الروم:اية4.
(98) الشرح:19-22.
(99) الشرح:318.
(100) ينظر/الشرح:203.
(101) سبأ:اية 10.
(102) نصر بن عاصم وابن ابي اسحاق/ ينظر اعراب القران للنحاس:567/2.
(103) الشرح 203-205.
(104) ينظر/الشرح 239.
(105) سورة النساء:اية66.
(106)سورة هود:اية 81.
(107) ينظر التبصرة/لمكي:225.
(108) الشرح:240.
(109) منهجا الاخفش والفراء في كتابيهما معاني القران دراسة موازنة:77.
(110) ينظر المصدر السابق نفسه:78.
(111) الشرح:111.
(112) ورد هذا الحديث في مسند/احمد:434/5 عن كعب بن عاصم الاشعري.
(113) الشرح:111.
(114) ينظر الحديث الوارد في الشرح:178.
(115) ينظر مثلاً الشرح:252.
(116) الشرح:117.
(117) هذا من قول امرئ القيس بن حجر الكندي، وقد اخبر بمقتل ابيه: اليوم خمرُ، واليوم امرُ.
(118) الشرح:117.
(119) الشرح:122.
(120) الشرح:123.
(121) الشرح:226.
(122) سورة يونس:اية 71.
(123) الشرح:226-227.
(124) ينظر/الشرح:220.
(125) ينظر/الشرح:100.
(126) ينظر/الشرح:318.
(127) ينظر/الشرح 319.
(128) ينظر/الشرح 248،183.
(129) ينظر/الشرح:280-281.

(130) الشرح:166.
(131) هذا البيت للنابغة، يقول في ابيات للنعمان بن المنذر ايام موجدته عليه، وهو من شواهد سيبويه1: ص58، وهو عجز بيت وصدره، وحلت بيوتي في يفاعٍ ممنعٍ.
(132) الشرح:166-167.
(133) الشرح:117.
(134) هذا الشاهد لم يعرف قائله وشواهد شرح الاشموني على الفية ابن مالك/271.
(135) الشرح: 117-119.
(136) الشرح:265.
(137) الشرح:265-267.
(138)الشرح:193.
(139) خزانة الادب 158/1، المفضل79/1، هي الشواهد الواردة هناك.
(140) الشرح:193-195.
(141) الشرح:221.
(142) الشرح:221-222.
(143) ينظر: البيت الوارد في 266:31 وايضاً281، وايضاً 202,204,206,211,212، وهذه الابيات فقط هي مجزوءة، بصدر او عجز.
(144) مثل تسمية امرئ القيس:83، وتسمية العباس بن مرداس:136،وتسمية المتنبي:141.
(145) هم الشاطبي والحريري:323،وابن النحاس306.
(146) الشرح:30.
(147) الشرح:30-31.
(148) الشرح:139.
(149) سورة يوسف: اية31.
(150) هذا البيت لم يعرف قائله، وهو من شواهد شرح الاشموني على الفية ابن مالك 448.
(151) سورة ال عمران: اية 144.
(152) الشرح:139-140.
(153) ينظر الشرح:97.
(154) ينظر الشرح:209.
(155) ينظر الشرح:18 مثلاً:99، وينظر الشرح:98.
(156) الشرح:187.
(157) الشرح:187.
(158) ينظر الشرح:61.
(159) ينظر الشرح:61.
(160) ينظر الشرح:69.
(161) ينظر الشرح:99.
(162) ينظر الشرح:99.
(163) ينظر الشرح:321.
(164)الشرح:96.
(165) الشرح:96.
(166) الشرح:46.
(167) الشرح:46.
(168) الشرح:325.
(169) الشرح:325.